بكونها عرشها وفي قوله ورفع ابويه على العرش وعلى كل ما علاك واظلك عليك ومنه عرش الكروم
والعرش بهذين المعنيين مستحيل في حقه تعالى فجعل الاستواء على العرش في حقه تعالى
كناية عن نفس الملك والعز والسلطنة على طريق ذكر اللازم وارادة الملزوم كما في قول الشاعر
ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب فانه جعل ثل العرش كناية عن زوال الملك
ويقال انثل عرش فلان اذا زال ملكه وسلطنته ويقال استوى على عرشه اذا استقام له
ملكه واستحكم عزه وسلطنته على طريق ذكر اللازم وارادة الملزوم كما يقال للمكثر اضيافه
كثير الرماد وللمترفه طويل النجاد فمحصول الآية انه تعالى خلق عالم الملك في ستة ايام كما اراد
وشاء من غير منازع ومدافع وكما ان خلقه كذلك استوى على الملك والتصرف فيه كما شاء و
حرك الافلاك وسير الكواكب وكور الليالي والايام ودبر امر مصنوعاته على ما تقتضيه حكمته
وبهذا معنى قول المصنف استوى امره اي تم استقرار امر ربوبيته وجرى امره ونفذ قراره
في مصنوعاته ولا يرد ان يقال كلمة ثم تدل على انه تعالى لم يكن له استواء الامر قبل ان خلق السموات
والارض لانه تعالى ازلي الوجود متصف بجميع صفات العظمة والكبرياء منزه عن جميع ما لا يليق
بشانه الاعلى قادر على ايجاد جميع الحوادث الممكنة والتصرف فيها حسبما يشاء غاية ما في الباب
ان يكون تعلق قدرته بمقدوراته ونفاذ امره وتدبيره فيها بالفعل متوقفا على حدوثها لان
التصرف في الشيء انما يتأتى بعد تكونه وحدوثه فاستواء امره وظهور تصرفه فيها بعد
حدوثها كما دل عليه كلمة ثم في قوله ثم استوى على العرش انه استوى عليه بالتاثير فيه وايجاده والتصرف
فيه على ما يقتضيه الحكمة البالغة والقدرة الكاملة فان الاستواء قد يذكر بمعنى الاستيلاء
كما في قوله [illegible] قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق قوله اي قد استوى عليه واستقر
فيه عبر عن الاستيلاء على العرش وانما تعبير فيه بالاستواء عليه لان الاستواء على الشيء عبارة
عن الاستقرار فيه وانتهاء الاعتلاء ومنه قولهم بلغ الشمس الى حد الاستواء بمعنى انتهى في
ارتفاعها الى الكمال ولذا قولهم استوى الميزان فهو تعالى لما خلق السموات والارض ثم خلق الكرسي
العظيم المحيط بجميع الاجسام وجرى امره فيه فقد استقر امر خلق الاجسام المحيط الى العرش
ثم خلقه خلق الاجسام العالية لما خلق فوقه شيئا آخر فكان الاستيلاء على العرش استواء

استواء واستقرارا لامر الخلق عليه فكانه قيل ثم استوى امر الخلق على العرش وانتهى عنده باستيلائه
عليه وتاثيره فيه قوله فان الامور والتدابير تنزل منه اي كما تنزل احكام الملك وتدابيره عن عرشه
وسريره حال تمكنه عليه عند الحكم فانه تعالى مستو على العرش بلا وصف التمكن والاستقرار
عليه ومنه تنزل احكام قضائه وقدره الى عالم الملك هذا هو وجه المشابهة بين العظم العرش
الاعظم وسرير الملك قوله وقيل الملك عطف على قوله الجسم المحيط يعني قيل العرش في الآية
بمعنى الملك لان العرش بمعنى سرير الملك لما كان من لوازم الملك اطلق واريد به الملزوم الذي
هو نفس الملك ولم يرض به لانه لا يكفي التصرف فيه في لفظ العرش فقط بل لا بد من التصرف
في الاستواء عليه ايضا لان العرش بمعنى الملك لا يستوى الا لا يتمكن عليه حقيقة بل لا بد من
جعل الاستواء على العرش كناية عن الملك ونفاذ التصرف كما اختاره ثم انه تعالى لما ذكر
استواءه على العرش واخبر عن نفاذ امره والمراد تدبيره بين ذلك بطريق الاستيناف
فقال يغشي الليل النهار اي يجعل الليل غاشيا يغشى النهار بظلمته فيذهب بنور النهار
ويغطيه بظلمة الليل فان شانه تعالى ان ياتي بالليل على النهار ويغطيه بظلمته فانك اذا قلت
يغشى الليل النهار فقد جعلت الليل غاشيا ساترا النهار وجعلت النهار مستورا بالليل وكان
الفعل متعديا الى واحد واذا نقلته الى باب الافعال جعلت الفعل متعديا الى اثنين وجعلت
ما كان فاعلا للفعل الثلاثي مفعولا اول وجعلت مفعول الفعل الثلاثي مفعولا ثانيا فلوح
معنى الآية انه تعالى يجعل الليل غاشيا مغطيا للنهار بظلمته ويجعل النهار مستورا بالليل
قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص ههنا وفي سورة الرعد يغشي بضم الياء وسكون
الغين وتخفيف الشين على انه مضارع اغشى على افعل وقرا حمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب
يغشّي بالتشديد من التغشية وقيل فيه اختصار حيث لم يذكر ويغشي النهار الليل اي يجعل النهار
غاشيا لليل بنوره ويذهب ظلمة الليل ولم يذكر للعلم قوله او لان اللفظ يحتملهما اي ويجوز
ان يكون عدم ذكر عكسه بناء على كون نظم القرآن محتملا لكل واحد من المعنيين على سبيل البدل
فان يغشي الليل النهار يحتمل ان يكون الليل فيه فاعلا معنى ويكون النهار مفعولا لفظا ومعنى لان يكون
الليل غاشيا النهار ويكون النهار ساترا بظلمة الليل مفعولا لفظا ومعنى فيكون المعنى انه تعالى يجعل الليل

Copyright © King Saud University